المكان في نماذج من الرواية الفلسطينية
قراءة في القرية و المدينة و المخيم

د . محمد خليل الخلايلة
الجامعة الهاشمية – الزرقاء – الأردن

المكان في نماذج من الرواية الفلسطينية
قراءة في القرية و المدينة و المخيم

د . محمد خليل الخلايلة
الجامعة الهاشمية – الزرقاء – الأردن

ملخص البحث:

تحاول هذه الدراسة قراءة نماذج من الرواية الفلسطينية، تلك الرواية التي صورت الهم الفلسطيني في ظل الاحتلال، وتقوم هذه القراءة برصد المكان في الرواية الفلسطينية .

و تشكل المكان من: قرية ومدينة ومخيم . ولكل من هذه الأماكن همومه وآلامه وجمع هذه الأماكن هم واحد هو هم الاحتلال . و كان الراوي في هذه الروايات دقيق التصوير لهذه الأماكن إذ استطاع أن يرصدها و يرصد هموم ساكنيها و نتاج الاحتلال لهذه الأماكن، و ارتأت الدراسة أن تكون كما يلي :

١- التمهيد : القرية والمدينة والمخيم بوصفه مكاناً
٢- القرية في الرواية الفلسطينية
٣- المدينة في الرواية الفلسطينية
٤- المخيم في الرواية الفلسطينية
٥- العلاقة التي تجمع هذه الأماكن في الرواية الفلسطينية

المقدمة

فلسطين . موطن الصراع والنزاع والآلام ، كلما أشرقت شمس الحرية فوق سمائه تكاثف على نورها غيم الظلم والفتك ليقلب نهاره ليلا طويلا وكأنه صخرة جاثمة على الصدور . وكان الاحتلال لمسرى رسول الله عليه السلام أطول ليل يعيشه هذا الوطن الحزين.شغلت قضية الاحتلال فكر الباحثين ورؤية الأدباء إذ نقرأ صداها في شعر علي محمود طه وأمل دنقل ومحمود درويش.فأحداث عام ١٩٤٨، ١٩٦٧ لاقت اهتماما بالغا من الكتاب و الأدباء وعلى مستوى الروايات كانت هذه الأعوام حاضرة في روايات عربية كثيرة في مقدمتها رواية حليم بركات "ستة أيام"، و إميل حبيبي في روايتيه "السداسية و المتشائل" و غسان كنفاني في روايته "رجال في الشمس.

من هنا جاءت فكرة هذه الدراسة إذ سينصب الاهتمام في نماذج من الروايات الفلسطينية التي عالجت فكرة الاحتلال عن طريق تشكيل اللغة ،هذه اللغة التي استعملها هؤلاء الأدباء لتحمل رؤيتهم و آمالهم ومن هذا الاحساس اختار الباحث اسم قراءته هذه ، :المكان في نماذج من الرواية الفلسطينية :قراءة في القرية و المدينة و المخيم ، فعدت إلى روايات فلسطينية لأجعلها مصدرا للبحث ، وتتبعت فيها أصداء القرية والمدينة والمخيم ، فكان لكل منها دلالته المميزة ، هذه الدلالات تجمعها مظلة واحدة ، سنراها في ثنايا هذا العمل إن شاء الله و لن تحاول الدراسة هذه ملامسة القضايا الفنية في هذه الروايات لأنها ليست الغاية و الغاية هي الوقوف عند صورة المكان في هذه الروايات و من هنا سيكون شكل الدراسة كما يلي :التمهيد : الحديث عن القرية والمدينة والمخيم – كمكان ،

- القرية في الرواية الفلسطينية
- المدينة في الرواية الفلسطينية
- المخيم في الرواية الفلسطينية
- العلاقة التي تجمع القرية والمدينة والمخيم من منظور الرواية الفلسطينية
- الخاتمة التي تسطر خلاصة ما توصل إليه البحث.
- قائمة المصادر والمراجع

التمهيد :

القرية – المدينة – المخيم –المكان في الرواية الفلسطينية

المكان عنصر أساس من عناصر الرواية كعمل فني ، والمكان امتداد لصاحبه فهو تعبير مجازي عن الشخصية [1]، من هنا كان المكان امتدادا للراوي الفلسطيني ، بل مرآة لهذه الشخصية التي صدمت صدمة عنيفة من أحداث الظلم والقهر التي مارسها المحتل على تراب وطنه ، فأصبح هذا الوطن الذي أنبت شعبه ، ملكا للغرباء فشرد هذا النبت الأصلي " الشعب " أو قتل ، أو جمع في خيام.

هكذا انحرف مسار الصورة للقرية والمدينة في الرواية الفلسطينية ولم تعد القرية ، مكان الأصالة والسماحة والسذاجة أحيانا ،وابتعدت المدينة عن معنى التحضر ، والانغماس في مادية الحياة ، وتلوث الأصول البريئة بملوثات العصر ، لتغير بعد ذلك مكونات ساكنيها ، وتولدت عند الروائيين الفلسطينين صورة جديدة و مؤلمة لمكان ثالث " المخيم " ، فلم يعد المخيم يحمل صورة الترف واللهو فالثري يخرج خارج الديار للقيلولة فينصب خيام المرح والترف ويمارس طقوسها للعودة إلى السيرة الأولى ' سيرة اللاهموم ، سيرة ابتعاد الذات من تراكمات الحضارة وآفاتها .

وفي عودة أولى للمعنى المعجمي لهذه المصطلحات نجد المدينة مصطلحا يعني : الحضارة واتساع العمران ، ونقول: تمدن فلان إذا عاش عيشة أهل المدن وتنعم وأخذ بأسباب الحضارة ، فالمدينة تعني الاستقرار في بيوت الحجر ، والابتعاد عن مظاهر الانشغال بالأرض من زراعة وغيرها أما القرية فهي كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قرارا وغايتي من القرية ، وهوالمكان الذي فيه زرع وخصب ويطلق على كل مكان ما عدا المدن ، والريفة من الأرض : الخصبة [2]" ، والهوة واسعة بين الريف والمدينة ،فالمدينة هي الحضارة والراحة والبراءة من هموم الأرض " الزراعة – التنقل ----- " أما القرية أو الريف ، فهي عكس ذلك تماما – الانشغال الدائم بهموم الأرض ، والانتظار الدائم لماء السماء ، والتكوينات الأولى للشخصية البريئة ، والبساطة في كل شيء .

---

(١) انظر رينيه ويليك / نظرية الرواية – ترجمة حسام الخطيب — ط٢ ١٩٧٢ : ٢٨٨

(٢) انظر المعجم الوسيط –ط٢ –ج٢ : ٧٣٢ : ٨٥٨ وج١ :٣٨٦ مادة – دون – ريف

أما المخيم فهو المكان الذي نصبت فيه الخيام ، و الخيام كل بيت يقام من أعواد الشجر ، وهذا البيت يتخذ من الصوف أو القطن ، ويشد بأطناب [1].

وبعيدا عن هذه المعاني المعجمية للريف والمدينة والمخيم يرى الباحث : أن الراوي الفلسطيني على وعي كامل بالمكان الفلسطيني أو بفلسطين خاصة ، ففلسطين موطنه الذي ولد وتربى على ثراه ، و فلسطين مهدالحضارات ، ومهد الإنسانية ، فلسطين التي لم ولن يهملها في كتاباته ، فرصد المكان جيدا وصور واقع القرية و المدينة ، و المخيم ، أماكن عانت قديما ولما تتخلص من معاناتها ، فكانت القرية و المدينة مكانين للمعاناة ، في إطارهما الخاص ، وبذوقهما الخاص ، و تتجلى قمة المعاناة في المخيم الذي نصب لاحتواء الشعوب المقموعة المشردة فزاد من قمعها وتشريدها ، حتى أصبحت هذه المخيمات قبورا للأحياء الذين لا يزالون ينتظرون العودة ، وأين هي هذه العودة ؟!!

من هنا حرص الروائيون الفلسطينيون على حفر خريطة أرضهم – فلسطين – بالأحداث والرجال ، ومظاهر الطبيعة التي لا تزول ، من شمال وطنهم إلى أقصى جنوبه ، ومن شرقه إلى غربه ، لم يهمل الراوي الفلسطيني بقعة واحدة صغرت أم كبرت ، إذ عانى المكان وشارك وساهم ولا يزال يخضع في قماقم الظلم .

* * *

(١) انظر المعجم الوسيط ج١ : ٢٦٧ مادة خيم

أولا : صورة القرية في الرواية الفلسطينية

للقرية ذوق خاص في الرواية الفلسطينية ، حيث تجاوزت القرية حدود البساطة والسذاجة إلى أفق الانتماء والارتباط والبقاء والصمود ، وتكاد أن تكون القرية هي الأكثر حضورا – فيما قرأت من روايات – في كتابات الرواية الفلسطينية ،إذ تشترك جميع هذه الروايات في سماء واحدة ، مع – بقاء تميز واحدة على أخرى – ولا عجب في ذلك فالقرية هنا ليست مجرد قرية يخرج ابنها إلى المدينة فيتعرض إلى ألوان شتى من المصاعب ليخضع بما يسمى بالهجرة والهجرة المعاكسة ، نحن أمام تراب ،و وطن خضع لمصيبة زمنية تسمى الاحتلال ، هذا الاحتلال يعاني منه الوطن بأكمله ، فمن الحتمية معالجة القرية ضمن هذه المعطيات ، والكاتب الفلسطيني غايته إبراز انتمائه وارتباط شعبه بالتراب ، بالوطن فكانت غايته القرية ، فابن القرية أكثر ارتباطا بالتراب حيث يرى نفسه كتلك النبتة التي تشق طريقها إلى أعلى التربة وجذورها في الأسفل ، الفلاح يضع الغالي والنفيس في سبيل حصوله على شبر أرض ليزرعه ، فهو مكلف إذاً بالحفاظ على هذه الأشبار ولن يبخل في ذلك والقرية في هذه الروايات تسير في نسق معين ينحصر فيما يلي :

أ– ١– الحياة القروية قبل الاحتلال اليهودي ، حيث يمضي أهل القرية يومهم في أعمال الأرض تجمعهم هموم واحدة ، الحصاد – المطر – النبات ، كما تجمع أجسادهم دار المختار ،و المختار هذا يختاره أهل القرية وكبارها ليحرص على شؤون القرية عامة ، والأفراد في القرية يد واحدة يتعاونون في إتمام أمورهم ،و يتشاركون في إتمام الفرح ، كما يتشاركون في الحصاد والبذار والترح .

- "آه يا مريم ذاكرة يوم ما اتجوزنا ، أو صار لنا عرس ما صار مثله في قريتنا ولا القرى اللي حوالينا .
- والله ذاكرته أو ما عمره بروح من بالي .
- يومها إجا الناس من كل القرى اللي حوالينا .

- وهب أهل قريتنا يستقبلوا الضيوف ، ويقوموا بالواجب ، ناس بتطبخ ، ناس بتمد الفراش ، ناس بتحضر القهوة " الشاي " [1]

فالحياة الاجتماعية في القرى الفلسطينية واحدة قبل الاحتلال ، الفلاح مهتم بأرضه وإدارة شؤونها ، حريص على ذلك ، ينتظر موسم حصاده ، حيث حاجته الشديدة لهذا الحصاد ففيه يغطي كافة التزاماته .

" الفلاحون خرجوا إلى البساتين والحقول والحواكير ، وسرح الراعي مع قطيعه إلى وادي " أبو صرار " وبدأت النسوة في تفقد شؤون الحطب وأقنان الدجاج وتحضير الأكل "[2]

" مطر شباط يغسل القرية بتواصل ، والفلاحون يظهرون فرحهم بامتلاء الآبار وارتواء الزرع دون سأم . في السهرات الليلية البطيئة تمر فصول السنة وغلة الأرض ، وسعر القمح والملابس والزيت ..... "[3]

" موسم الحصاد هو موسم الفرح بالنسبة لأي فلاح ، تتراكم فوق كاهل الفلاح متاعب العمل طيلة سنة ، ومطالب الدائنين ، وهموم نفاذ المؤونة ، والخوف من تقديرات محصلي الضرائب ، ومن غزوات الهجانة ، والولد الذي صار في سن الزواج ، والبنت التي امتلأ جسدها وصارت عيناها زائغة والعجوز التي تشكو الأوجاع ، ولا تنفع معها الحجب والتعاويذ ، وعشرات الهموم الأخرى ، ومع ذلك تظل أيام الحصاد هي أيام الفرح ..... "[4]

٢- القرية تعاني :

القرية في الرواية الفلسطينية يعاني أهلها من هموم قبل الاحتلال فهموم الاحتلال التركي والإنجليزي ، وقبل هذا أو في ظله ذاك التسلط لأحد الأشخاص المعتمد على قبيلته على أهل القرى وإجبارهم على دفع الإتاوة ، أو امتداد الإقطاعيين لشراء أراضي القرية ، ألوان شتى من الهموم كانت في القرية تمارس على أصحابها ، ولن نتجاوز هم عدم نزول المطر ، وهموم التعليم فالمدارس غير متوافرة ، وإن وجدت فهي محصورة أو

---

(١) رواية أيام الحب والموت – : ٥٠ – ٥٢ – حوارية مريم وأبو محمود من قرية ذكرين –

(٢) رواية عصافير الشمال – : ١٩

(٣) المصدر السابق : ٨٠

(٤) رواية بير الشوم – : ٢٢٧

قليلة الصفوف الدراسية ، حتى شيخ القرية ، شيخ غير مؤهل للمشيخة الدينية ، وإن تجاوزنا هذه الهموم نرى هم التنازع على الأرض داخل أفراد القرية الواحدة ، فالمختار أو الثري من أفرادها يطغى على أرض غيره عنوة .

- نرى آل العلني مثلا من غزة يريدون شراء أراضي القرية .

" ويدعم المختار في خصومته مع آل العلني الذين يسكنون غزة ، وكان هؤلاء قد ضغطوا لشراء قطعة أرض يملكها المختار ليضموها إلى أملاكهم "(١)

" قبل عشرات الأعوام ، لا يذكر أحد بالتحديد حتى كان ذلك ، كانت كل قرى الخليل السفلى تعيش تحت قسوة وظلم عشيرة العواونة وكان رأس تلك العشيرة الرهيبة القوة والبأس والظلم – الشيخ ((هاجم العواونة)) ..... وبدأو ينشرون الرعب في قلوب أهالي القرى المجاورة ، عجور، ذكرين ، كدنا ، رعنا "(٢)

" وكأنما لا يكفي هاجم وداهم ، ظلم الأتراك ، وضرائب الإنجليز ..... "(٣)

بعدين تعشينا وصرنا نحكي عن الولد اللي بدنا نجيبه ونسميه محمود ، ونعلمه في مدرسة بلدنا حتى يصل الصف الرابع ، ونوديه يتعلم في القدس أو برجع أستاذ مثل الأستاذ خليل اللي بعلم لولاد في مدرسة قريتنا "(٤)

" كانت المدرسة غرفة واسعة الأرجاء ، بنيت من الحجارة البيضاء والإسمنت والقضبان الفولاذية ، وقد دفع أهالي القرية كثيرا من محاصيلهم لبناء المدرسة ، أحضروا المواد التي تحتاجها من حيفاء في سياره للبلد وجلبوا بناء ماهرا من الخليل ..... كانت المدرسة قرب كرم سلمان الفلاح أبو عبدالله ، وكان الرجل قد وهب من أرضه العزيزة على قلبه تلك القطعة التي أنشيء عليها بناء المدرسة ، من أجل عيون أهالي القرية ورفض الرجل أن يتقاضى مليما واحدا ثمنا للأرض .....

---

(١) بير الشوم : ١٣ – ١٤

(٢) أيام الحب الموت : ١٥ – ١٦

(٣) السابق : ٢٦

(٤) السابق : ٥٣

قال سلمان الفلاح :

" أي والله ، أنا وهبت هالأرض منشان أولادنا يتعلموا أولاد المدن كلهم اليوم بتعلموا القراية ..... "[1]

أما خلاف أهل القرية أنفسهم على الأرض فهذا أمر حاصل في أجواء القرية كانوا يشيرون إلى واقعة تعرفها القرية ، مضى عليها أكثر من عشرين سنة حتى طواها النسيان . اختلف المختار مع أبي جواد ، وتنازعا على أرض كان أبو جواد يزرعها منذ أيام الأتراك ، حيث كانت الأرض مشاعا ، وعندما مثل المختار القرية في اللجنة التي أنهت شيوع الأرض ، استخدم دهاءه حتى آلت أرض أبي جواد إليه فتنازعا وامتدت المنازعة سنوات ، وقد استطاع المختار أن يتغلب على أبي جواد في المحاكم وسجلت الأرض باسمه ، وحصلت قطيعة خلال تلك السنوات بين الأسرتين "[2]

هكذا عاشت القرية الفلسطينية حياتها قبل الاحتلال، شأنها شأن القرى الأخرى ، هم الفلاح في أرضه ، المطر والبذور للإعداد الجيد لموسم خير ثم الانشغال بأعمال الزراعة والانتظار لموسم الحصاد ، هذا الموسم الذي تبنى الآمال عليه في تسديد الديون وإشباع الرغبات أما البنية الاجتماعية فمتماسكة ، فالجميع يد واحدة في إنجاز أشغالهم يترابطون في الأفراح والأحزان ، ويتعاونون في الإبذار والحصاد ، مع بقاء ما يسمى بالصراع الطبقي على الأرض ، المتمثل بسطوة أهل الثروة المتنفذين على المزارعين للاستيلاء على الأرض بأثمان زهيدة و جلب اليد العاملة بأجور متدنية و هكذا جسدت القرية مدى بشاعة احتلال الطبقة المتنفذة على الأرض قبل الاحتلال اليهودي.

ب – القرية في ظلام الاحتلال :

أما الإشكالية الكبرى التي جعلت للأرض القروية صورة أخرى فهي النكبة ، النكبة بمعناها الأوسع ، الاحتلال الإنجليزي بداية واليهودي تحت غطائه الإنجليزي ثم الانكشاف علانية ، هنا للقرية لون آخر ، تميزت به وانفردت به ولكن الروائي الفلسطيني حرص على استخدام هذا اللون لحفر خريطة وطنه وتجلية التضحية والبقاء والخلود

---

(٥) رواية الحب والموت : ٥٨

(٦) بير الشوم : ١١٨

أمام هذه النكبات . فهذا الأخير شعر بدور القرية الدلالي الرمزي واستعمله جيدا فالقرية تعني النبات والإنبات ، تعني الالتصاق بالأرض والتراب و عدم الخروج منه تعني الجذور والحياة الأبدية ، تعني الثبات وعدم الزحزحة ، تعني الحياة ، الأرض هي الفلاح ، والفلاح هو الأرض ، فكانت القرية هي الأكثر حضورا في الرواية الفلسطينية – في حدود اطلاعي – ولا عجب في هذه الكثرة ، فالروائي الفلسطيني ابن هذه الإشكالية ، وابن هذا الوطن ، وهو الأعلم بحق ، عن دور الوطن كتراب وأرض في الحفاظ على الوجود والحق في البقاء .

في هذه الظلمات برزت صورة القرية في العمل الروائي الفلسطيني تحت أطر مختلفة ، فهؤلاء الغرباء أو الفتوات الذين لا يعلم أهل القرية مصدر حضورهم ، والمخاتير، والإقطاعيون ، أحد أسباب شقاء القرية في ظلم الاحتلال ، حيث بيع الأراضي ، والدعم المادي والمعنوي للاحتلال مقابل مركز حقير لهؤلاء يضعهم فيه مؤقتا حتى إشعار آخر " ولكن الإنجليز جاءوا ".وداهم أخذ (يعزمهم) ويذبح لهم الخراف ، ويعمل على إذلال الرجال الذين عادوا ، ويخرس أفواههم عن المطالبة بأراضيهم التي سرقها في غيبتهم وضمها إلى أرضه .....

ولكن الناس دهشوا حين علموا أن داهم العواونة قد باع لليهود بعض الأرض بين ذكرين وبيت جالا ، وأن اليهود جاءوا تحميهم سيارات الإنجليز "[1]

" أحس الشيخ حسن أن الحديث لن يصل إلى نتيجة ، وكان يدرك أن المختار يثق في قرارة نفسه بالإنجليز ، وعلاقته بالكابتن حميمة ، وكان هذا الضابط الإنجليزي يستجيب لمطالب المختار فيقوي ثقته به " [2]

هؤلاء الخونة أو المتخاذلون لم يقفوا في وجه أهالي القرية، فأهالي القرية حريصون على الحراسة الدائمة للقرية ، ويمدون يد العون للقرى المجاورة إذا احتاجت .

" تناهى إلى سمعها صوت رصاص بعيد ، فبنت مخاوفها حول زوجها الذي يحرس مع الرجال أطراف القرية والدروب المؤدية اليها "[3]

---

(١) أيام الحب والموت : ٢٤ – ٢٧

(٢) بير الشوم : ١٣

(٣) أيام الحب والموت : ٨

" ذلك اليوم الذي ذهبت فيه نجدة القرية إلى " بيت دراس " لمساعدة مجاهديها في رد الهجوم الصهيوني "[1]

" لقد كتب الذين أرخوا لمعركة " بيت دراس " أن نجدات كثيرة من قرى عدة وصلت بيت دراس في ذلك اليوم .

وكانت النجدة التي قادها الشيخ حسن واحدة منها ، وصلت " بيت دراس " بعد نصف ساعة من مغادرتها القرية وانضمت إلى المجاهدين الذين تجمعوا لفك الطوق عنها "[2]

أمام هذه التغيرات كان من الطبيعي أن تتغير الحياة الإجتماعية والهموم الإنسانية، فالحصاد لم يعد هم الفلاح الأوحد ، والزراعة والبذارة أصبحت ثاني همومه ، فالمواطن – الفلاح الفلسطيني – أمام تحد للفناء والزوال عن هذه الأرض ،

" كان الناس قد أهملوا أعمالهم الزراعية وحراسة كرومهم ، فالخطر الداهم اجتاح حياتهم وقلب أوضاعهم واتجاه تفكيرهم "[3]

" كان الناس قد حصدوا حقول القمح ، الأشجار مثقلة بالثمار ، والحقول المزروعة بالذرة أخصبت هذا العام أكثر من أي عام مر ، لكن أحدا لا يفكر في حصاد الذرة ، فالمعارك اشتدت وحمأة القتال ازدادت .

هذا وقت الحصاد

هذا وقت الموت

من الذي يفكر بأن يحمل منجله ويسري مع الصباح إلى حقله ، يحني هامته ويبدأ في اجتزاز أعواد الذرة بشفرة منجله الحادة ، لا أحد يفعل ذلك إلا إذا أراد أن يغامر بروحه . ذلك أن اليهود أخذوا يتصيدون الناس ويزيدون من حدة هجماتهم ، معهم كل أدوات الموت ، دبابات ، طائرات ، رشاشات ، وليل نهار يهاجمون ، يقتلون ، أطفال ، نساء ، شيوخ ، أشجار حيوانات ، أي شيء ، المهم أن ينشر الموت لواءه في كل مكان "[4]

---

(١) بير الشوم : ٨

(٢) السابق : ٦١

(٣) أيام الحب والموت : ٤٧

(٤) أيام الحب والموت : ٦٨ – ٦٩

وبدأت المواجهة ، أيام الإنجليز ثم اليهود ، تغيرت الهموم أولا ، تنبه أصحاب الأرض بالخطر الداهم مع إحساسهم المسبق بعد مجيئه ، ولكنهم تنبهوا لشراهة اليهود ، هؤلاء يريدون الأرض ، فبدأوا بالقتل والغدر والخيانة ، قتل كل شيء ، واحتلال الأراضي مع إعطاء العهود لأهلها بعدم السبق في الاعتداء ، يريدون نشر الذعر فأطلقوا إشاعات وإشاعات ، أطلقوا أصداء أعمالهم الإجرامية ، كل هذا لتفريغ الأرض وزراعة المستعمرات بدلا من زراعة النبات ، إنبات الغريب بعد قلع ابن الأرض .

" اليهود قبل أربعة أيام تسللوا في الليل إلى بيادر قرية تل الصافي – كان الناس ينامون على البيادر – ذبحوا رجلين وأمرأة وطفلا ، وفروا وهم يطلقون الرصاص ، ما كان أهالي القرية أو القرى المجاورة يتوقعون حدوث مثل هذا العمل البشع ، صحيح أن الناس يعرفون أن القلاقل بدأت لكن أحدا ما كان يحسب أن تصل الأمور إلى هذا الحد "[1]

" كان الناس ما زالوا يتناقلون خبر استشهاد عبد القادر حيث وقع نبأ فاجعة دير ياسين ، ووصلت تفاصيل المذابح التي اقترفها اليهود ، ذبحهم للأطفال ، بقرهم لبطون الحبالى ، ساد جو من الذعر والخشية بين النساء ، بعد تلك المذبحة ، وأخذ بعض الرجال يفكرون في إبعاد زوجاتهم وأطفالهم وذويهم الطاعنين في السن إلى مناطق أكثر أمنا، ولكن عبدالله سلمان " أبو محمود " دعا الرجال للاجتماع عند البيادر ليتكلم معهم ويقطع حبل الإشاعات ويخرس النوايا الشاذة عند البعض "[2]

يقول المختار : " ومختار المستعمرة قال لي : اذا قعدتوا بحالكو بنهاجمكوش ، والكابتن أكد هذا الحكي في حضوري وحضور وجوه القرية ، وكنت أنت قاعد وسمعت بنفسك ..... القرى التي وعدوها واحتلوها بعدين ؟ وسلمت ؟ ..... "[3]

والغاية التي يريدها الصهاينة واضحة تماما :

حوار أم فارس مع أم عيسى :

" هيه وبعدين يا أم فارس ؟ خير إن شاءالله ؟ شو بدهم منا ؟

---

(١) السابق : ١٠

(٢) أيام الحب والموت : ٤٩

(٣) بير الشوم : ١٣

- والله يا اختي بيقولوا حاطين عينيهم على الأرض الشمالية ، بدهم يخلوها هودية ميه بالمية . "[1]

" رسم دورا وشوارع معبدة وكتب تحتها " قرية جديدة للايجار " إنه الضلع الطولي جنوبا ، قاع مستطيل القرية ، ذات الأراضي المصادرة بحجة أملاك الغائبين منذ عام ١٩٤٨ .

هنا ستقوم قرية جديدة تملكها شركة ميرن كيميت "[2]

وبدأ الاحتلال بطمس الأسماء العربية بعد طمس التراب والجذر العربي

" ..... وزير الزراعة يصرح لمندوب الإذاعة بأن الهدف من غرس الأشجار ليس مجرد تجميل الطبيعة وإنما لمنع تسلط العرب على الأرض "[3]

وقد تنبه اليهود إلى مفعول القرية وإلى دورها في الحفاظ على الهوية الفلسطينية ، فالفلاح هو المتمسك بتراب وطنه ، والقرى تمثل طرقا هامة للمدن ، والقرى مركز إيواء المشاغبين ، ومن القرى انبثق التعاون لمواجهة الاحتلال ، فكانت القرية هدفا اليهود وغايتهم .

" ..... الموجز : قوات الأمن تعتقل مجموعة من المشاغبين في قرى الشمال " [4]

بيت دراس من النقاط الهامة التي يجب السيطرة عليها ضمن مخطط القيادة الصهيونية والسبب : " الذي يشكل عقدة مواصلات هامة بين عدة قرى وبلدان في ذلك الجزء من جنوب فلسطين "[5]

وأمام هذه المعطيات الجديدة تغيرت الحياة في القرية ، تغير نمط الترابط الاجتماعي ، ففي وقت الحصاد حيث ترابط الجميع لإتمامه وزراعته من قبل ، صار الآن مهدداً بالزوال ، ولكن تبقى القرية رمزا للترابط والتلاحم ، تبقى القرية رمز الخير والعطاء ، تبقى القرية رمزا للتماسك ساعة المحنة ،

---

(١) عصافير الشمال : ١١

(٢) السابق : ٧٣

(٣) السابق : ٣٣

(٤) عصافير الشمال : ٣٣

(٥) بير الشوم : ٦١

" شيء ما قد تغير بل كل شيء تغير، والتغيير قد شمل الريف أيضا لا المدينة فحسب. ماذا حدث ؟! الأرض ما زالت معطاءة، والجدول ما زال رقراقا عذبا والموسم كان خيرا، لكن الأرض ما كانت تنبت إلا الأعشاب البرية، ..... والزعتر يملأ الأرض ولا أحد يتهافت على قطافه كما كانت العادة دوما "[1]

" أهالي القرى يقاتلون، يدفنون قتلاهم بصمت وبدون دموع، ولكن بحقد على اليهود."[2]

" بعد أن طرح عليهم – محمد المرابع – المساء قال لهم، بهدوء رصين : – السلاح يا عمامي غالي، بس الأرض برخص كل شيء من أجلها .... – الأسعار صارت نار هالأيام لأن كل المدن والقرى بتتسلح، بدنا بواريد، أو يدنا فشك، أو بدنا برنين أقل شيء، المصاري والذهب اللي في أرقاب النسوان بتعوض، بس الأرض ما بتتعوض .....

– بعد أن جمع أهالي القرية المال، وباعوا حلي النساء، وضعوا كل ما جمعوه في صرة كبيرة، سلمها الشيخ سلمان ..... الفلاح ..... لمحمد المرابع. "[3]

" أصدر قائد الفصيل من مجلسه مع الضيوف، أوامره لإعداد موكب التشييع، وظل مع ضيوفه يبادلهم الحديث وشرع يحي وجهاء القرى واحدا واحدا مسميا إياهم بأسمائهم، والتفت إلى الشيخ حسن وقال :

– فيك البركة يا بو حسان، إنت اللي ما خيبتش رجالنا ورجالكو أسود فضلكوا على راسنا بننساهوش طول العمر "[4]

وأمام كل هذا تبقى القرية الأمل، مصدر الخير، مصدر المقاومة، الأماني بالعودة إلى ما كان.

" مسيرنا نتلاقى يا مريم لا تخافي ..... مسير هالكابوس يزول عنا ونرجع نحرث أرضنا ونبذرها، ونحصد قمحها وشعيرها ونوكل عنبها وتينها ..... "[5]

---

(١) الصبار – سحر خليفة – : ٣٨

(٢) أيام الحب والموت : ٦٩

(٣) أيام الحب والموت : ٣١

(٤) بير الشوم : ٦٢

(٥) أيام الحب والموت : ٧٦

" كان والدك مزارعا طيلة عمره ..... وقد جعل من الأرض الصخرية جنة نقب الحجارة وفتت الصخور ونخل التربة "[1]

ومن كان عمله هذا في الأرض ففكرة الرحيل أو الزوال تكون مستحيلة فالموت عنده خير من تركها .

" في مقدوركم أن تقولوا على الفلاحين ما شئتم ..... أما عن حبهم لأرضهم وكرههم للرحيل عنها فهذه مسألة لايطالها أي قول "[2]

هكذا كانت صورة القرية في الرواية الفلسطينية ، صورة العمل والارتباط مع الأرض –فالأرض حياة الفلاح –، صورة التآزر الاجتماعي ،و الترابط ،والتماسك ،و التفاعل مع الطبيعة ، فهو على علاقة وطيدة بالطبيعة ، يتحسن حاله بتحسنها ويزداد حاله سوءا إذا حبست الطبيعة مطرها ، ولا ننسى في هذه الأجواء ظهور المخاتير أو الفتوات من خارج القرية وقلة الوعي الدراسي عند سكانها ، فالأرض هي كل الهموم .

أما عند الاحتلال ، انقلبت هذه المقاييس ، فأصبح التآزر الاجتماعي لمواجهة غضب الاحتلال بدلا من مواجهة الهموم اليومية ، وأصبح هاجس الاحتلال منغصا للجميع ، وتهافت الأبطال للمساعدة وحماية الحمى ، وانشغل الناس بجمع العدة ودفن الشهداء والارتباط أكثر وأكثر في الأرض ، ولا ننسى طبعا دور هؤلاء الخونة مع الاحتلال .

وفي ظل هذه الاشارات تبقى القرية الأكثر تواجدا على الساحة فهي من الناحية العسكرية هامة للاحتلال ، لوقوعها على طرق المدن وبعض هذه القرى يشكل حلقة وصل هامة ، وعلى المستوى الفكري القرية تعني الارتباط المتلاحم مع الأرض ، وتهويد القرية يعني تهويد الأرض ،

أما على صعيد البنية التركيبية للمجتمع الفلسطيني القديم ، فالقرية هي من مكونات فلسطين الرئيسة ، وهي الأكثر والأعم وجودا ،و استطاع الراوي من خلال سرده للحوار بين أبناء القرية "أبطال روايته عن طريق اللغة الفصحى تارة و اللغة

---

(١) الصبار : ٣٥

(٢) بير الشوم : ٢٥١

المحكية تارة أخرى أن ينقل هذه الرؤية الخاصة به إذ يريد أن يصور لنا القرية في ظل الاحتلال الطبقي و الاحتلال اليهودي فالفلاح دوما مضطهد قبل الاحتلال و بعده.

صورة المدينة في الرواية الفلسطينية

اهتم الروائي الفلسطيني بالمدينة اهتماما يختلف عن ذلك الاهتمام بالقرية فلم ترد صورةالمدينة مثل صورة القرية ، المدينة وكأنها هودت تماما ، الحياة يهودية ، اللغة ، العادات ، التقاليد ، مع الاحتفاظ بواقع المأساة ، فمأساة الاحتلال حلت بالمدينة والقرية على حد سواء ، وإذا شاهدنا الطوق أو الحصار العسكري على القرية لاحتلالها فإننا نجد منع التجول على المدينة ، بل والحياة فيها تنتهي بقدوم المساء ، فما هي صورة المدينة في تلك الروايات ؟؟

أ- التعليم في المدينة أوسع وأشمل منه في القرية بل نرى المدارس في المدينة مقصد الفلاحين لإكمال تعليمهم ، فالقرى تبعث أولادها إلى أقرب مدينة لهم لمتابعة تعليمهم ، مثل القدس أو غزة أو نابلس .

يقول أبو محمود : " وصرنا نحكي عن الولد اللي بدنا نجيبه ونسميه محمود ونعلمه في مدرسة بلدنا حتى الصف الرابع ونوديه يتعلم في القدس "[1]

وما قاله الشيخ سلمان الفلاح : " آي والله ، أنا وهبت هالأرض منشان أولادنا يتعلموا ، أولاد المدن كلهم بتعلموا القراية "[2]

فقضية التعليم أوسع وأشمل في المدن ، ثم الاهتمام بالأعمال الزراعية غير موجود في أجواء المدينة بل العمل هو أساس حياة المدني ، وهذا العمل أوجد الفروقات الطبقية ، الإقطاعيون المدنيون يطمعون بالأرض ، ولكن أي أرض هذه ؟؟ إنها أرض الفلاح . فيذهبون إلى القرى المجاورة أو ما يمكن بتسميته " المدينة الريف " كأريحا ويشترون أراضيها ويستعبدون فلاحيها ويبنون فيها منازلهم الفارهة وتصبح أحياؤهم مطمعا لشباب القرية لمشاهدة تحضر نسوتهن وبناتهن .

---

(١) أيام الحب والموت : ٥٣

(٢) السابق : ٥٨

" لكن الأغنياء من أبناء العوائل الفلسطينية الإقطاعية جنوا ثمار أتعاب الفلاحين اللاجئين . لقد ابتاع أولئك الأغنياء الأرض من فقراء أريحا بأثمان بخسة واستولوا على الأرض البور ، ثم استغلوا اللاجئين المعوزين وسخروهم في حرث الأرض وزرعها ، وخدمتها بأجور زهيدة لا تقيم الأود . "[1]

" ويدعم المختار في خصومته مع آل العلني الذين يسكنون في غزة . وكان هؤلاء قد ضغطوا لشراء قطعة أرض يملكها المختار ليضموها إلى أملاكهم "[2]

هكذا عاش المدني حياته داخل مدينته ، فالتعليم متوفر والطبقية موجودة ولكن ما عهدناه في ظل القرية من ترابط وتلاحم اجتماعي لم نره هنا في المدينة قبل الاحتلال .

ب–المدينة في ظل الاحتلال : أمام هذا الاحتلال يجدر بصاحب الأرض الرجوع إلى أمجاد الماضي والبحث عن الجذور العميقة ، والمدن الفلسطينية عامة ، صاحبة جذور يصعب نسيانها أو طمسها، فأريحا مدينة التاريخ ، والقدس وما أدراك ما القدس ، وماذا بعد – ؟! كل مدينة فلسطينية تاريخ قائم بذاته .

" في الألف السابع قبل الميلاد بنيت أريحا ، فهي أقدم مدينة في التاريخ . وفي الألف الثالثة قبل الميلاد ، أعاد الكنعانيون العرب تشييد أسوارها وأبراجها لحمايتها من الغزاة"[3]

" نابلس طول عمرها جبل النار ..... "[4] الجذر التاريخي للمدينة قديم لا يمكن تغييره

أما الحياة في داخلها فقد تغيرت في ظلام الاحتلال ، هدم المنازل ، منع التجول ، الحياة الطبيعية أيضا تغيرت ، أمام كل هذه التغييرات وقف الروائي وصور ، فكانت المدينة تحت ظلم الاحتلال شيئا آخر يختلف عنه قبل هذا الاحتلال ، مع التنبه إلى التمركز اليهودي الكبير داخل المدن ، بل وطمس المعالم العربية واستبدالها بالعبرية ، حتى أصبحت هذه المدن غريبة على أهلها .

---

(١) رواية العشاق –: ١٠

(٢) بير الشوم : ١٣

(٣) العاشاق : ٥

(٤) عباد الشمس –: ١٦٧

" تدفق العمال من باب الشاحنة ، وتفرقوا في شوارع تل أبيب النائمة ، وكانت الشمس ما زالت تتمطى في سماء غائمة "[1]

" ليل نابلس البارد الرطب ينخر الرئتين . والربيع ما زال شتاء والوحل يلوث الطرقات المهجورة "[2]

" من القدس لنابلس ولا تحزن يا قلب ..... حقول الفطر والفطريات وبيت حنانيا والحنين الساجي الممدود على أرض مطار . طائرات سماكية رمادية سوداء ، غربان تحط على سطح معتقل ..... "[3]

فكان الاحتلال أداة تغيير كبرى لهذه المدن ، وتدخلت في كل معالم الحياة محاولة تغييرها أو طمسها ، ومن ثم تهويدها .

" مشكلة الماء غزت . شحت العيون والآبار وعدوا حبات المطر ، حبسوها وجمركوها ، ولم تسلم عين من رقابتهم إلا عين المسكين . حتى العين التي وعت صبا سعدية وخلافة الأتراك وانتصارات الزنكي جفت ، وعيون العروبة تشهد "[4]

ومع المساء تنتهي الحياة في المدينة فتتشابه المدينة مع القبور غير أن الحياة الداخلية تختلف ، فالقبور سكانها أموات داخل أموات ، أما المدن فأحياء في ثوب أموات.

" كان النهار قد ارتحل ولم تبق في المدينة إلا القطط الضالة تروح وتجيء دون كلل "[5]

أما العقاب الصهيوني ردا على المقاومة فهو عقاب جماعي يمنع التجول تارة، وحبس مئات الألوف داخل منازلهم لتتحول فلسطين إلى سجن عام وعقاب فردي جماعي بهدم المنازل وتشريد ساكنيها .

" كان يحس بأن الضفة قد باتت بحجم القمقم "[6]

---

(١) الصبار : ٤٥

(٢) السابق : ٥٩

(٣) عباد الشمس : ٢٠

(٤) السابق : ١٥٤

(٥) نفسه : ٥٣

(٦) الصبار : ٢٠

" وكان مهندسو جيش الدفاع يقيسون ارتفاع وانخفاض أحد البيوت البالية في طرف الشارع . والرجال يحملون الفراش على ظهورهم . والنسوة تتراكض بين الدار المحكوم عليها بالإعدام وبيوت الجيران ..... وانفجر اللغم . وتحطمت أركان الدار وهوى السقف كتلة واحدة على فتات الجدران "[1]

" يا ابني لعادل ظروفه . شغله في المجلة أبعده عن الدار وأكمل القصة ثم بدأها من أولها كيف نسفت الدار "[2]

حتى الاسم حاول الصهاينة طمسه

– " كنا نسكن طولكرم ، ومات الوالد فانتقلت أمي إلى نابلس .

– ولماذا انتقلت أمك إلى شخيم ؟

– تعجبها نابلس

– ولماذا تعجبها شخيم ؟ "[3]

أمام هذه التغييرات بالقوة أحس الشاب والإنسان الفلسطيني بالتغير، التغير الذي قبله شعبه أم رفضه .

" شيء ما تغير . بل كل شيء تغير ، والتغيير قد شمل الريف أيضا لا المدينة فحسب . ماذا حدث ؟ ! "[4]

وصدمة منع التجول من أشد الصدمات التي عوقب بها الشعب المدني الفلسطيني ، فساعة أو يوم المنع شديدة الوقع في النفس ، حيث يحرم ابن المدينة من دخول مدينته إذا كان خارجا منها ، وداخل المدينة ، الموت الشامل لكل ملامح الحياة ، وإذا ما سمح الاحتلال بساعة فرج ، ترى الجميع يخرج ، وكأنهم يخرجون من الأجداث سراعا !

" حين وصلوا مشارف نابلس راعهم منظر السيارات والشاحنات التي اصطفت بالمئات تنتظر الإذن بدخول المدينة ..... ودارت النسوة بأطفالهن الباكين من سيارة لسيارة بحثا عن شربة ماء أو موزة أو بسكوته ..... قال الحاكم لرئيس البلدية :

---

(١) السابق : ٨٩

(٢) عباد الشمس : ٥٣

(٣) الصبار : ١٤

(٤) السابق : ٣٨

إذا لم توقفوا الطلبة عند حدهم نوقفهم نحن وإذا كنتم لا تعرفون كيف تربون أولادكم نحن نربيهم "[1]

" من هنا تبدو المدينة قعر نهر جاف رصفته الحجارة لا أثر للحياة إلا بضع سيارات تسير في الخناءات ثعبانية بأحجام النمل ..... لكن الصمت المطبق مسترسل في إطباقته "[2]

" تعال من هنا . المدينة أقفلت تماما سيعلن منع التجول . "[3]

" وانسلت من المدينة أثناء ساعة الإفراج خلال منع التجول . كل الناس هرعوا إلى الدكاكين يشترون الخبز والطحين والسكر "[4]

هكذا عاش أهل المدينة ظلمة الاحتلال قاوم الطلبة وهم الطبقة المثقفة فكان القمع الجماعي ، ولكن أمام هذا التغيير – مرة أخرى – هناك من امتزج به واستوعبه وتقبل الوضع كما هو وأصبحت المدينة التي هودها الاحتلال مطمعا وملجأ للعمل والعمالة.

" كنا في تل أبيب نشتغل "[5]

" إني يا سادة لأرتجف غيظا وقهرا كلما سمعت كلمة عبرية في الشارع الفلسطيني ينطق بها فرد فلسطيني . أتعرفون أن مفردات لغتهم قد بدأت تغزو شوارعنا ؟ حتى أدباؤنا يا سادة باتوا يستخدمون بعض الألفاظ العبرية . وإذا سألت أحدهم عن السبب قال " كي أدمج القارئ في الجو والمناخ " أي جو وأي مناخ ؟ "[6]

" ولكن الناس لا تبدو عليهم شقاوة العيش . يلبسون على الموضة ، يمشون بخطوات أسرع . ويشترون بدون مساومة ، كثرت النقود . كثرت الأعمال ..... الاحتلال ما زال احتلالا ..... وأمام الحوانيت تتكدس البضائع الإسرائيلية . في الواجهات . وعلى

---

(١) عباد الشمس : ٢٤٨

(٢) السابق : ٢٥٣

(٣) الصبار : ٨٦

(٤) عباد الشمس : ٢٦٤

(٥) السابق : ٩٩

(٦) نفسه : ١٣٢

أبـواب المتـاجر . وعلـى الأرصـفة . والعمـال يـشترون بـنهم المحـروم يـأكلون . يلبـسون ويطعمون أولادهم حتى التورم ".[1]

هكذا هي المدينة في صورتها ، المدينة قبل الاحتلال ، طبقية اجتماعية ، انغماس في العمل والمادية ، هناك كبار يبتلعون كل شيء ، وجاء الاحتلال ليفرد ظلمة على سماء المدينة ، فيمسح كل شيء فيها حتى الاسم ، أمام هذه التحديات تتجلى الطبقة ، المثقفة بأحزابها وأفكارها ، تحاول المقاومة وتحاول ، وأمام هذه المحاولة يصمد أهل المدينة أمام منع التجول أو هدم المنازل ، وهناك فئة تجعل من منتجات الاحتلال كسوة لهم ومن أسواقهم مجالا ومكانا لعمالهم ، وهناك من يرحل إلى الخارج " الكويت " أو السعودية .

" رجل له كرش ضخم وأوداج منفوخة يمد يده بساعة ثمينة .

– أحضرت هذه من الكويت . أبنائي يعيشون هناك كالملوك . مال ووجاهة ، سيارات آخر موديل . اللهم أدمها من نعمة ....."[2]

" ما اسمك ؟

- أسامة الكرمي –
- عمرك ؟
- ٢٧ .
- أين كنت ؟
- في عمان .
- وقبل ذلك ؟
- في دول البترول .
- ماذا كنت تعمل ؟
- موظف ."[3]

---

(١) الصبار : ٢٦

(٢) السابق : ٨

(٣) نفسه : ١٢ – ١٣

ومع هذه التناقضات يبقى الجرح جرحا والدم النازف دم الشعب جميعا، ومع وجود المهاجرين – الباحثين عن حياة أخرى، يبقى الجرح نازفا، والحزن عارما، والصامدون صامدين إلى النهاية.

قال محمود:

– هذا صحيح. ونحن حزينون، ومستوحشون مثلها، لكننا أيضا غاضبون، ونعرف لماذا يعم الظلام. لقد رحل كثير من الناس، وظل القليل ولكن المدن: نابلس والخليل والقدس وبيت لحم غاصة بألوف الفلسطينين وهذه أريحا، فيها أكثر من نصف السكان، الذين رحلوا سيعودون والذين ظلوا هنا سيصمدون "[1]

* * *

(٤) العشاق: ١٨٧

صورة المخيم في الرواية الفلسطينية

المخيم مسكن المشردين الذين أبعدوا عن أوطانهم عنوة ،و سبب هذا الإبعاد اليهود واستعمارهم الأرض بالقوة في المخيم حياة البؤس والشقاء حياة عدم الاستقرار ، حياة الانحسار والدمار ،

" أثريات تلك الأضواء ؟ هناك مخيمات اللاجئين الذين تركوا الوطن "[1]

نعم إنه المكان الذي حوصر فيه أهل الأرض والوطن بعد طردهم منه وهؤلاء يحاولون تخفيف الألم عن أنفسهم فيسمون هذه المأساة بالهجرة أو النزحة ويعيشون على أمل العودة .

" كنا – أنا وبدر العنكبوت – ننتمي إلى ذلك الحوش الذي يغص بالمستأجرين بعد أعوام من الخروج . أو كما يقول والدي بعد أعوام من الهجرة "[2]

" العم (تحصل دار) اشتغل بعد الهجرة مع أحد الصيارفة في المدينة "[3]

هكذا بدأت المأساة في المخيم ، حاول الجيل الأول إقناع نفسه بقصر المدة التي سيقضونها داخل المخيم ، ولكن --- الأيام تطول ويجبر هؤلاء على العيش والرضى بواقع المخيم ، والاندغام مع مكوناته .

" كان والدا ذا كبرياء ..... رفض أن يشمله الإحصاء ، ورفض أن يتسلم بطاقة الإعاشة ، وها هو بعد أعوام من الخروج يتقدم بطلب إلى الوكالة لكي يشمله الإحصاء ويحصل على البطاقة "[4]

أمام هذه المأساة وقف الروائي الفلسطيني ورصد لنا هذا الواقع المؤلم الذي هز مشاعر أمة بأكملها وصور لنا هذا المخيم بعين صدق أبرز من خلالها الطبقية في هذا المخيم ، هذا الشخص الذي عين ودعم من المحتل لرصد حركات أهل المخيم ، فكان متميزا في كل حياته ، مصدر غناه مجهول أو يكاد أن يكون مجهولا ، بيته يدل على ثراء

---

(١) العشاق : ٢٤٠

(٢) رواية / تفاح المجانين –: ١٣

(٣) السابق : ١٥

(٤) السابق : ١٣

واسع ، حياته تختلف كثيرا عن حياة أهل مخيمه وعندما يقترب الخطر يرحل بأمر من سادته لإبعاده عن الخطر .

" كيف أصبح أبو نبيل الجسر " غنيا ؟

وكلما كبرنا ، كبر هذا السؤال ! لا أدري لماذا كنا ندس أنوفنا في كل شيء "[1]

" قالت أم فتحية باستنكار : " الإنجليز ؟ الإنجليز أعطوا " أبو نبيل " كل هذا ؟

" بيت أبو نبيل الجسر مكون من خمس غرف عدا المستودع الضخم والمضافة "[2]

((" أبو عباد " العجوز قال بأن سر انتصاب أذني ذلك الكلب ، أن صاحبه " أبو نبيل الجسر يطعمه البيض واللحم ، ويسقيه الحليب ! والكلب بن الكلب ، لماذا ونحن لا نأكل اللحم إلا في أيام الجمعة ؟))[3]

" وقلنا . أيها الكلب المحترم عداء ونباحا ، ماذا ترى في دار أبو نبيل المغلقة على فهمنا ؟ ماذا يفعلون داخل تلك الدار حين يأتي الرجال المقنعون بالصرامة لزيارة أبو نبيل " أو الجلوس معه ؟ عم يتحدثون ؟ أولئك الرجال الغامضون "[4]

" هل ترى ما أراه أمام دار الجسر ؟ "

- نعم أرى .....

هل يريدون الرحيل إلى أين ؟ إلى إين ؟ لماذا الآن .....

فنظر إلى صوان بجدية ونفاذ صبر

- كأنك في واد والدنيا في واد آخر . الأمر خطير ، ورحيل أسرة الجسر يحمل دلالات كبيرة !

قلت بغباء :

- دلالات ؟ مثل ماذا ؟

فرفع يده ليضعها على كتف شهاب وكتفي وهو يقول :

- ربما اقتربت الحرب ، قد تنشب خلال ساعات !!

---

(١) رواية وقت –: ٥٣ – ٥٤

(٢) السابق : ٦٨

(٣) نفسه : ٢٧

(٤) نفسه : ٢٧

- كيف عرفت
- سألته فأجاب :
- من رحيل الجسر "[1]

أمام هذه البرجوازية لهذا الخائن العميل الذي استلم ثمن خيانته وتسليمه لأحد المجاهدين منزلا ضخما وسيارات ثلاثة وكلباً لا يأكل إلا اللحم والبيض ، يعيش سكان المخيم ، هوة كبيرة بين هذا وهؤلاء ، يعيشون حيث تتساوى الأيام سوادا يعيشون في ظلمات الحياة ، منتظرين مساعدات وكالة الغوث ، التي تقدم مالا يسد رمق العيش ، يعيشون في مصائد الجوع والفقر ، يعيشون بانتظار رجل الإحصاء الذي لا يستبعد أن يكون يهوديا ، بل إنه لكذلك ! يعيشون على أصداء ما يدور في مدن وقرى وطنهم المغتصب ، هكذا صورة المخيم ، البؤس والشقاء ، الألم والحزن ، الأمل بانتظار ما يحققه المدافع .

" وعند العصر جاءت زوجة الفورمن لزيارتنا فبكت الوالدة مر البكاء ملخصة بهذا الانفجار القهر والمعاناة والفقر ومخزون الجوع "[2]

" كنا نسكن في حوش واسع . حوش يغص بالمستأجرين ..... حوش واسع . الأطفال ينطنطون . وامرأة ترضع طفلا من ثديها الضامر . وأخرى تغسل الغسيل ببقايا صابون تكاد تتلاشى . رجال يعبرون عابسين . يجرجرون أقدامهم . رجال عاطلون . عمال باطلون . عتالون . حارس ليلي . قهوجي واحد ..... ينط الأطفال وعند البوابة الكبيرة تصطف تنكات الزبالة تغطيها قشور البطيخ ويحوم حولها الذباب "[3]

" كان صيفا شحيحا ، قل فيه الماء ، وانتشر القمل ، وجفت البرك ، فاعت الأفاعي .... الضفادع .... الجراد .... الديدان .... جاع الناس .... وصار طحين وكالة الغوث هو الغذاء الوحيد " ..... ولذلك فقد بدا الوالد من جديد يكتب العرائض من أجل الحصول على بطاقة التموين . ولكنه ظل ينتظر – دون جدوى – وصول لجنة الإحصاء المكونة من

---

(١) رواية وقت –: ١٩٦ – ١٩٧

(٢) تفاح المجانين : ٧٣

(٣) السابق : ١٢ – ١٣

المستر بول والست ماري والمترجم أبو فقوسة . أصبحنا نأكل الخبز اليابس ونشرب الشاي المحلى بالسكر الأحمر ذي الطعم الكرية "[1]

" تلك حارتنا . بيوت ملتحمة ببعضها ، تحاذي الطريق الترابي بارتفاعات متقاربة جدران طينية ناتئة محفرة ، تتخللها شبابيك خشبية كالحة لا تغلق إلا بالقوة، أسوار معوجة . مروسة بقطع مدببة من الزجاج ، حجارة ثقيلة تتدلى على الأسوار لتشد تلك الحبال التي تحمل الملاقط والملابس المغسولة وأكياس اللبن المخيض في باحات الدور"[2]

"والشتاء يتسلل إلى المخيم ، خجولا ومترددا ، كأنما يخبيء في كهوف سجائر ، سؤلا سنويا متكررا " أما زال المخيم قائما " ؟ لكنه يستحضر في عيون الناس فزعا غامضا وتطيرا ! هكذا يأت الشتاء : جحافل من السحائب البيضاء الرمادية تغزو سماء المخيم .... وحين تصل تسلم قيادها للرياح التي تأتي من الجنوب والشرق المنبسط الممتد ، تلك الرياح التي تسرح في ذلك الخلاء شرقي المخيم ..... في ليالي الشتاء التصق بنفسي كثيرا ، فللريح صوت جنائزي يثير في نفسي احساسا مبهما بالخوف "[3]

كل الأيام سواء ..... تقترب لحظات الغروب ، تحمل أمي صفيحة الماء بيدها وتذهب إلى الحارة الجنوبية حيث صنابير الماء التابعة لوكالة غوث اللاجئين "[4]

" مخيم عقبة جبر " هو أكبر المخيمات ويقع على طريق القدس "[5]

" مر في الشارع الرئيسي الذي يشق المخيم وراقب على كلا الجانبين واجهات الدكاكين ، وسحاحير الخضار والبسطات ، والذباب المتطاير على أكوام الخضار العفنة"[6]

---

(١) نفسه : ٣٨ – ٣٩

(٢) وقت : ٧٣

(٣) وقت : ٧٨ – ٧٩

(٤) السابق : ٨٦

(٥) العشاق : ٨

(٦) السابق : ٦٢

" كان محمود يتشاغل بالنظر إلى الرسومات الاعلانية الصحية الملصقة على جدران الغرفة المترامية . " لا تتبرز في العراء " . " الحليب يقوي الجسم " " الذباب عدونا " وأكد محمود في داخله : (فعلا الذباب عدونا) . ولكن كيف نتخلص منه ؟ فعلا الحليب يقوي الجسم ، ولكن من أين نأتي بالحليب ؟ أم انهن يظنون أن الحليب الجاف الذي يحل في إناء ، ويوزعه مطعم الوكالة ، هو حليب فعلا "[1]

في هذه الطقوس المظلمة يزيد الإحصاء الليل سوادا :

" التدقيق . الإحصاء الشائعات . الخوف . وكالة الغوث . الأموات يموتون مرة بعد مرة. ولجنة التدقيق والاحصاء تدخل البيوت مثل الريح الصفراء "[2]

" أنها لجنة الإحصاء ..... دخلوا ، فرشت لهم الوالدة فرشة فوق أخرى ، جلسوا دون أن يخلعوا أحذيتهم ..... لقد اعتادوا كما يبدو على إهانة أهالي بلدنا العزل "[3]

" بيت أبو نبيل الجسر مكون من خمس غرف عدا المستودع الضخم والمضافة ! هذا ما قاله نبيل باختيال لمندوب الإحصاء الذي ولج غرفة الصف دون سابق انذار . ذلك المندوب المربك القصير ، وضع كشوفاته الطويلة وورق الكربون الأزرق ، وعلبة سجائر اللولو ونظارتيه الطبتين على الطاولة ، ثم قال لنا – شباب ، نريد معلومات صحيحة ، نريد الحقيقة لكي نعرف كم عددنا ، وما هي أوضاعنا الحالية "[4]

" من عطفة الشارع ظهر شاب وفتاة ، رأيا محمدا فلوحا له .... نظر اليهما محمد بدهشة ، اقتربا ، توقفا عند البوابة ، قالت الفتاة بعربية واضحة :

- جئنا للإحصاء
- لقد حضرنا لتسجيل العائلات التي بقيت في المخيم

سألها :

- عربية ؟

قالت

---

(١) نفسه : ٨٠

(٢) تفاح المجانين : ٨٤

(٣) السابق : ٨٩

(٤) وقت : ٦٨ – ٦٩

- لا ، يهودية من اليمن .

تطلع إلى الشاب

- وزميلي من بولونيا

دخلت الأم ، فأخبرها محمد

- جاءوا لإحصاء من بقي في المخيم ، الفتاة يهودية يمنية وزميلها بولوني .

قالت الفتاة : غدا ستحضر السيارات لتنقلكم إلى مخيم عقبة جبر .

سألها محمود : لماذا

قالت يوجد هناك عائلات كثيرة ، أما في مخيمكم ومخيم النويعمة فالأسر قليلة .

..... قال محمد :

- أنت جئت للإحصاء أليس كذلك .

قالت الفتاة : نعم .

سأل محمد :

- لماذا يريدون نقلنا ؟

قال محمود :

- كي يحولوا دون عودة الذين رحلوا .

قال محمد : هذا أولا .

قال محمود : وثانيا : كي يتمكنوا من مراقبة الناس ، الانتشار لا يساعدهم على المراقبة .

قال محمد : هذا صحيح ."[1]

نعم حتى المخيمات لم تسلم من السطوة اليهودية ، فملاحقة الانسان الفلسطيني ملاحقة شاملة ، ذات خصوصية ، حيث الفناء الشامل لكل مظهر حياتي وأينما كان ، المراقبة ، الرقابة ، المتابعة والمحاصرة ، كل هذا حتى في المخيم ،

حتى التعليم في المخيم لم ينج من العذاب ، الطريق إلى المدرسة طريق صعب بين أكوام الزبالة ولسع الدبابير ، وسيرا على الأقدام وفي المدرسة ، الأوامر والنواهي فقط .

---

(١) العشاق : ٢١٥ – ٢١٦

" صغارا كنا ، وكان الصباح يقذف في صدري بأثقال رعب يومي يختلي مع ابتداء رحلتي الصباحية من البيت إلى المدرسة ..... بعد أن نبعد بأيدينا الذباب الذي يهاجمنا أمام بيت أبو سليم الفران ، نحث الخطى إلى المدرسة ..... إنها الدبابير التي تفاجئنا على طريق المدرسة في بعض أيام الربيع ، وتثور في وجوهناحين نقترب من بيوتها المخيفة بين الزرع بجانب الطريق "[1]

" قالت الست إنجيل : نقطة أول السطر .

قالت الست إنجيل : حسنوا خطكم

قالت : لا تتمخطوا في الصف .

قال " الفورمن " أحطم هذه العصا فوق رؤوسكم

قالت الست إنجيل : لا تتمخطوا في الصف . قالت لا تسعلوا . قالت خطكم مثل خرابيش الدجاج .

ثم فقدت أعصابها ، فحملت المؤشر ، وضربت الأولاد الذين يجلسون في المقعد الأول أما الأولاد الذين يجلسون في المقاعد الخلفية فقد ركعوا فوق الحصى المفروش فوق أرضية الخيمة ، كانت الرياح تهز الشادر .

كان للحصى وخز المسامير "[2]

وأمام هذه الآلام يبقى حلم العودة والرجوع :

" أي والله لأزغرد اذا قامت الحرب !

زغرودة يسمعها كل أهل المخيم .

يا من درى نرجع للبلد "[3]

" يا عمي الحرب لا بد منها .

- يعني فكرك كم يوم ؟

- كلها شهر زمان ونرجع للبلاد "[4]

---

(١) وقت : ١٣ ــــــــ ٤٠

(٢) تفاح المجلنين : ٩ – ١٠ – ١١

(٣) وقت : ١٥٨ – ١٥٩

(٤) وقت : ١٦٨

العلاقة بين صورة القرية – المدينة – المخيم في الرواية الفلسطينية

بعد الاستعراض السابق لملامح المدينة ، القرية – المخيم في الرواية الفلسطينية فمن الضروري بمكان ، جمع خيوط هذه الملامح لتعطي للمتلقي صورة فلسطين الوطن – الأرض . ففلسطين دولة تتكون من قرية ومدينة وازدادت مخيما بعدما سطرالاحتلال ليلهم في سماء فلسطين وليكون المخيم بداية هذه العلاقة ، فهو ثمرة الخراب والدمار ، بعد الغزو والاحتلال يكون الإبعاد ومحاولة التهجير والزوال ، وهذا التهجير والزوال يبدأ بالاحتلال وتضيق العيش وذلك بحصره في بقعة مظلمةمن الأرض يحرم فيها الإنسان من أقل حقوقه ، المسكن الضيق المعتم ، الشوارع المحصورة ذات القاذورات على أطرافها ، الذباب ، أكوام الزبالة ، نقص الخدمات ، حتى التعليم ظلم واحتقار ، وكيف لا ؟ فالعقل يجب تدميره أيضا ، لأن الحرية تبدأ بلحظة تفكير ، وفوق هذا كله ، التدقيق والإحصاء من أشخاص يهود أو تابعين لليهود ، ويبدأون أول ما يبدأون به محو الاسم الفلسطيني .

" كان الشاب الأشقر يراقب بعينيه كل شيء في البيت ، رأى خارطة فلسطين على الجدار فتمتم :

- إسرائيل
- قال محمد :
- فلسطين ."[1]

والتدقيق هذا والحصر غايته إحكام القبضة والإتقان في المراقبة، وهكذا كانت القرية والمدينة ، غاية الاحتلال تهويدها بعد محو الجذور والأصول .

إذن نحن أمام صورة واحدة وإن تعددت زواياها ، الاحتلال هو الظلام الأوسع الذي خيم على سماء الوطن ، والوطن – قرية – ومدينة – رزح تحت هذا الظلام ، فكان المخيم نتيجة هذه الظلمات ، فصورة المخيم أولا هي الثمرة المرة لهذا الاحتلال وأهله " ساكني المخيم " يعيشون على أمل العودة .

" قال المشط : إنه يعود إلى هناك مثلما تعود الطيور إلى أعشاشها "[2]

---

(١) العشاق : ٢١٥

(٢) تفاح المجانين : ٩٤

ووبالامتداد العكسي إلى القرية والمدينة، فالرواية الفلسطينية أشارت إلى ذلك الصراع الأزلي بين القروي والمدني، صراع التنافس، صراع التعالي

" اقترب طفل من أمه القروية الجالسة على البيضة فوق بلاط بيت النار وسألها :

- يمه مش بلدنا أحلى من نابلس ؟

- أنا عارف يمه ! كل الناس خير وبركة .

أصر على موقفه :

- لاء لاء بلدنا أحلى

..... وهمهمت ساهمة :

- بلدنا أحلى .

لوت واحدة شفتيها وهمست في أذن أخرى

- ما شاءالله . صار للقشل لسان وصار يحكي .

التفتت القروية وحدجتهما بنظرة مغضبة حائرة " احترنا فيكم يا أهل نابلس ما حدا بقدر عليكم ولا انتو قادرين على حدا . جبل النار ؟ على أيش يا قشلي ؟ والله والله لولا رجال القرى وفعال الفلاحين ما ظل في نابلس غير الصراصير . نابلس ؟ ياما شفنا منكم يا أهل نابلس ! يسلم تمك يا خضرة " ..... أهل نابلس والكبرة وطول اللسان والنفخة الكذابة ، .....

صاحت أم فتحي تنهرها :

مالهم أهل نابلس يا حبيبتي ؟ اسم الله عليهم وحوطتهم بالله . رجالهم نار ونسوانهم شرار . وانتو الفلاحين أهل الخير والبركة . لولا الفلاح ما عاش المدني . والله لولا خيركم وأفضالكم كان هلكنا من الجوع "[1]

هذه العلاقة الجدلية بين القرية والمدينة موجودة، مع وجود المنفعة المتبادلة، إلا أن الهوة النفسية تتفاقم، ولكن صورة المدينة والقرية في الرواية الفلسطينية تمتد أكثر

(1) عباد الشمس : ١٧٧

من هذا البعد الأزلي، حيث الاحتلال الذي غير كل شيء، وهذا التغيير شمل المدينة والقرية،

" شيء ما قد تغير بل كل شيء تغير، والتغيير قد شمل الريف أيضا لا المدينة فحسب. ماذا حدث ؟ "[1]

هذا التغيير قد حصل فعلا وكانت المدينة ترضخُ تحت هذا التغيير، صورة المدينة أمام هذا التغيير متفاوتة، أهلها يعانون، وفئة أخرى تقبل بهذا التغيير وتتفاعل معه، والبعض يهاجر للعمل ويندمج مع حياة الغربة بل وينعم في المال والترف، أما الباقي من هذه الفئة التي رضيت بالتغيير، تبحث عن العمل داخل تل أبيب، وتنعم بالموجودات السلعية الاسرائيلية. وفئة على نقيض هذه تقاوم الاحتلال بالعمل على ضرب الاقتصاد اليهودي ومراكزه، أو بالمواجهة الفكرية، الأحزاب الطلبة، ولكن يد العدو قاسية جدا، لذلك وجدنا في صورة المدينة منع التجول وهدم المنازل، والمداهمات المباغتة ' لاصطياد العناصر الفعالة '.[2]

هذه هي صورة المدينة، محاولة جادة لطمس الهوية الفلسطينية، وتفاعل " عكسي إيجابي " مع الاحتلال.

وتأتي القرية في صورتها المترابطة الأجزاء مع المدينة، فكلتاهما وطن وتراب فلسطين، القرية رمز الخلود والالتحام بالأرض المقاومة الجماعية، حب الأرض. الارتباط، مما جعل روح المقاومة تندفع بدافع النخوة – الدين – الحرص على الأرض، تلك الأرض التي اختلط عرق ودم صاحبها فيها [4]، فلم نجد في صورة القرية، الهجرة للعمل، أو قبول البضائع اليهودية.

---

(١) الصبار : ٣٨

(٢) انظر الصبار: ٢٦-١٧٦-٨٨-٨٩-١٧٥ و عباد الشمس: ٣٨-٩٣-٥٦-٩٩-١٣٢ و العشاق: ١٣٥-١٥٦

(٣) انظر بير الشوم: ١٢-٢٩-٥٤-٤٦-٦١-٢٥١ و عصافير الشمال: ٧-١١-١٣-٣٣-١٢٤ و أيام الحب و الموت: ٨-٩-٦٩ وعباد الشمس: ٢٥٨ و الصبار: ٣٨

(٤) ايام الحب و الموت: ٩

(٥) وقت: ١٢٧

ويبقى الخيط الذي يجمع هذه الأماكن، حب الوطن، واستحضار أمجاده، للخلود والصمود.

" يا ولدي يا عبدالله، الله يخليلك ابنك محمود ..... الأرض نعمة، حطيت فيها روحي، باقدرش أفارقها. "[٥]

" يزداد التصفيق والتصفير ..... والهتاف لفلسطين!

كان الأذن يقول: فلسطين .....

فترد الجموع ..... عربية

يقول: فليسقط .....

ويردون ..... الاستعمار! "[٦]

" حمل شباب على الأكتاف، فدوى صوته:

فلسطين للفلسطنين "[١]

هذا الخلود وهذا الصمود بحاجة إلى رائحة المقاومة وسقوط الشهداء وبغير الشهداء ستبقى فلسطين – المكان – ضائعة:

" زهدي! زهدي يا أخي! مات زهدي. وأنا أموت. الموت شر لا بد منه أنت يا أمي ملاك. وأنا سبع السباع يمه. قولي. مات شهيدا. قولي فدا القضية. فدا الأرض. "[٢]

وبهذه الاندفاعة " المقاومة " يكون البقاء في وجه التهويد، تكون الأرض لأصحابها، ويفشل اليهود في نواياهم الرامية لقلب فلسطين إلى إسرائيل. وتبقى فلسطين المعشوقة الوحيدة.

" هذه رائحة فلسطين، رائحة خبز الطابون، رائحة الطعام الطيب، رائحة الألفة، أتعرف يا محمود، لو انني خيرت أن أكون من وطن من الأوطان لاخترت فلسطين "[٣]

" هنا أريحا، اخفض مكان في الأرض، البيوت من طين، والسقوف منخفضة ..... من أخفض مكان في الأرض نصعد "[٤]

---

(١) العشاق: ١٣٥

(٢) الصبار: ١٥٥

(٣) العشاق: ٨٧ – ٨٨

(٤) السابق: ١٢٤

هكذا جمع الروائي الفلسطيني همومه وهموم شعب بأسره ، جمع هذه الهموم ونفثها في تراب وطنه ، فكانت القرية أخت المدينة وكان نتاج هذا الهم المخيم ، ولكن تبقى فلسطين هي فلسطين . ويبقى طائرها في الداخل يرف مقاوما الاحتلال – وإن عايشه فهذه المعايشة ، دليل التكيف وهذا التكيف دليل قدرة الكائن الحي على البقاء – وطائرها في الخارج يهز جناحيه منتظرا لحظة الانطلاق إلى العش الدافئ .

* * *

الخاتمة

وصل الجهد إلى نهايته ، ، وكان الباحث أمام نتائج يراها خلاصة البحث :

أ- فلسطين تجسدت في الروايات ، قرية ، مدينة ، مخيما فكانت هذه الأماكن صورة لمكان يتحرك فيه الروائي الفلسطيني .

ب- القرية هي الأكثر حضورا ، والروائي الفلسطيني صور حياة هذه القرى قبل الاحتلال وفي ظلامه ، فكان الترابط والتماسك والحس الجماعي أمام المفاجأة الزمنية ، السمات الغالبة ، والقرية رمز الخلود والبقاء والالتصاق بالمكان ، المقاومة تبدأ بحراسة حدود القرية ، وتزويد مجاهديها بالسلاح ، والقتال المشترك ، ولا أنسى هنا انقلاب الواقع الحياتي للقرية ، فبعدما كان الحصاد هو الهم الأوحد والمنتظر أصبح الحلم الأوحد الخلاص من اليهود .

ج- المدينة ، رمز التحضر والعلم والثقافة ، اتحدت مع القرية في وقوعها تحت ظلام الاحتلال ، وكان سكانها على تفاوت في ردودهم تجاه هذا الاحتلال ، هناك من قاوم عمليا ، وكان عقابه تدمير منزله ومنع تجول أهل مدينته ، أو فكريا ، عن طريق أفكار الحزب والتجمع ، وبث الوعي الفكري ، وهذا مطارد أيضا ، وهناك من هاجر خارج فلسطين بأكملها إلى دول الخليج أو غيرها ، مع بقاء فلسطين حلما لدى البعض . ومن بقي هكذا استطاع أن يندمج بالمجتمع اليهودي ويبحث عن لقمة العيش في مدنهم التي استطاعوا تهويدها " مثل تل أبيب " وأغرق سوق مدينته بالبضائع والمنتجات اليهودية " .

د- المخيمات : هذه الأماكن المظلمة – نفسيا ومكانيا – ، عاش فيها اللاجئون والمبعدون والمهجرون قسرا عن ديارهم ، فهؤلاء عاشوا في قبور جماعية وهم يتنفسون هواء الأحياء ، يعيشون على أمل العودة .

هـ – صورة القرية والمدينة والمخيم في الرواية الفلسطينية زوايا صورة واحدة يجمعها إطار واحد ، فالقرية هي البذرة الأولى لاقتلاع الفلسطيني من أرضه وبعد الاقتلاع يكون التغيير ، " في المدينة " – وهذا الاقتلاع والتغيير يكون نتاجا مرا هو الشعب المشرد المحاصر ، الذي تقلبه اليد الصهيونية داخل المخيمات .

و- تبقى صورة المقاومة موجودة تتحرك داخل القرية والمدينة والمخيم وهذه المقاومة هي سر البقاء، وهي سر الأمل بالرجوع والالتصاق مرة أخرى بتراب فلسطين.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

أ – المصادر : –

١– جمال ناجي / وقت – دار أبن رشد – عمان – ط١ ١٩٨٤

٢– رشاد أبو شاور / أيام الحب والموت – دار العودة – بيروت ١٩٧٣

٣– رشاد أبو شاور / العشاق – دار الجيل للطباعة – دمشق ط١ ١٩٧٧

٤– سحر خليفة / الصبار – دار الآدب – بيروت

٥– سحر خليفة / عباد الشمس – دار الآدب – بيروت ط١ ١٩٨٠

٦– علي حسين خلف / عصافير الشمال – دار ابن خلدون – بيروت ط١ ١٩٨٠

٧– فيصل حوراني / بير الشوم – دار الكلمة للنشر – لبنان – ط١ ١٩٧٩

٨– يحيى يخلف – تفاح المجانين – دار الحقائق ١٩٨٢

ب – المراجع :

١– إبراهيم الفيومي / دراسات في الرواية والقصة القصيرة / منشورات وزارة الثقافة ط١ ١٩٩٧

٢– إبراهيم الفيومي / الواقعية في الرواية الحديثة في بلاد الشام – ١٩٣٩ – ١٩٦٧ – دار الفكر – عمان ١٩٨٣

٣– أحمد أبو مطر / الرواية في الأدب الفلسطيني – بغداد – دار الحرية للطباعة ١٩٨٠

٤– شاكر النابلسي / جماليات المكان في الرواية العربية – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ١٩٩٤ ط١

٥– صالح أبو أصبع / فلسطين في الرواية العربية – منظمة التحرير الفلسطينية بيروت ١٩٧٥

٦– فاروق وادي / ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية – المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١ ١٩٨١

٧– محمد حسن عبدالله / الريف في الرواية العربية – عالم المعرفة – الكويت ١٩٨٩

ج– كتب أجنبية مترجمة :

١– جاستون باشلار / جماليات المكان – ترجمة غالب هلسا – دار الجاحظ – بغداد ١٩٨٠

٢– جان إيف تاديه / الرواية في القرن العشرين – ترجمة د. محمد خير البقاعي – الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٨

٣– رينيه ويلك / نظرية الرواية – ترجمة حسام الخطيب – المجلس الأعلى لرعاية الفنون – دمشق ط٢ ١٩٧٢

٤- مالكوم براد بري – الرواية اليوم – ترجمة أحمد عمر شاهين – الهيئة المصرية للكتاب – ١٩٩٦

د- مجلات ودوريات :

١- عالم المعرفة / في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد .د. عبدالملك مرتاض – الكويت – كانون أول ١٩٩٨

٢- فصول / خصوصية الرواية العربية – مجلد ١٦ عدد٣ شتاء ١٩٩٧

* * *